معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

تحليل السياسات

قراءة في العقيدة الجديدة للسياسة الخارجية الروسية
"التوثيق الشامل للعلاقات مع الصين والهند"

الدكتور عوض سليمية

مدير وحدة الابحاث والدراسات الدولية

الملخص

اهم ما ورد في المفهوم الجديد للسياسة الخارجية الروسية، بعد توقيعها من قبل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الجمعة 31 مارس/اذار 2023:

- **تعتبر الوثيقة الولايات المتحدة الأمريكية المحرك الرئيسي والمصدر الأساسي للسياسة المعادية لروسيا وأكبر تهديد يواجه العالم وتطور البشرية.**
- **سوف تستخدم روسيا الجيش لصد ومنع أي هجوم مسلح ضدها أو ضد أي من حلفائها.**
- **ستتعامل روسيا مع الدول الأخرى بالمثل.**
- **تهتم روسيا على نحو خاص بتعزيز العلاقات والتنسيق بشكل شامل مع مراكز القوة العالمية الصديقة: الصين والهند.**
- **ترى الوثيقة المشروع الرائد بالنسبة لروسيا في القرن الحادي والعشرين هو تحويل أوراسيا إلى مساحة متكاملة يعمها السلام والاستقرار والازدهار.**
- **تعرّف روسيا نفسها بأنها معقل العالم الروسي ومهد إحدى الحضارات الأصيلة التي تحافظ على التوازن العالمي.**
- **تعد مكافحة "الروسوفوبيا" (رهاب الروس) في مختلف المجالات من أولويات السياسة الإنسانية لروسيا في الخارج.**
- **تعارض روسيا سياسة خطوط التقسيم في منطقة آسيا والمحيط الهادئ.**
- **سيكون القضاء على "أساسيات الهيمنة" من جانب الولايات المتحدة والدول الأخرى غير الصديقة في الشؤون الدولية إحدى أولويات روسيا.**
- **تسعى روسيا جاهدة إلى تشكيل نظام عالمي يوفّر أمنا موثوقا به ويضمن تكافؤ الفرص بالنسبة للجميع.**
- **تسعى روسيا جاهدة لتحقيق الأمن المتساوي لجميع الدول على أساس مبدأ المعاملة بالمثل.**
- **ستقوم روسيا بالتحقيق في التطوير المفترض للأسلحة البيولوجية والسمّية.**

في سياق غياب ضوء نهار بين واشنطن وموسكو. وعلى ايقاع تصاعد التهديدات الوجودية التي تتعرض لها موسكو من قبل دول الغرب الجماعي، وفقاً لزعيم الدبلوماسية الروسية سيرجي لافروف، وشعوراً بدفئ الرياح المواتية في السياسة الخارجية الروسية، وقع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عقيدة السياسة الخارجية الجديدة لروسيا الاتحادية، والتي تم تأسيسها بناء على المنطق الذي يعكس التغيرات الثورية في الشؤون الدولية. بتاريخ 31 اذار/ مارس 2023.

واشنطن أكبر تهديد لروسيا والعالم

حددت الوثيقة الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها "المحرك الرئيس والمصدر الأساسي للسياسة المعادية لروسيا وأكبر تهديد يواجه العالم وتطور البشرية". من الان فصاعداً، تنظر موسكو الى واشنطن بإعتبارها محور الشر وقائد الخط المعادي لموسكو، ومصدر نشر الحروب والفوضى العالمية. وهذا يعود للمسارات المعادية التي تتخذها واشنطن تجاه موسكو، وكشفت عنها بشكل واضح خلال الازمة الاوكرانية القائمة، من خلال حرصها على استمرار تغذية الحرب واغراق أي جهود للتسوية السلمية. ضمن هذا المفهوم الجديد وفقاً للوثيقة، فإن موسكو جاهزة "لاستخدام الجيش لصد ومنع أي هجوم مسلح ضدها، او ضد أي من حلفائها، وان روسيا ستتعامل مع الدول غير الصديقة بالمثل". بعبارة اخرى، حملت هذه الفقرة في طياتها طمأنة واسعة لحلفاء روسيا عبر العالم مفادها، ان السياسة الجديدة لموسكو ستأخذ منحنى جديد مختلفة تماماً عن السابق، وان روسيا جاهزة للدفع بجيشها وقوتها العسكرية للدفاع عن حلفائها اذا لزم الامر. بالمقابل ترسل موسكو اشارات تحذيرية قوية لحلفاء واشنطن من الغرب الجماعي، جوهرها أن التعامل الجديد مع واشنطن ينسحب عليهم كاعداء مفترضين لموسكو، وان روسيا لن تسمح بمبدأ تجزأة الامن، وسيكون التعامل بالمثل من منطق القوة التي يفرضها الغرب.

التوثيق الشامل للعلاقات مع الصين والهند

حددت العقيدة الجديدة كل من الصين والهند، كحليفين استراتيجيين لموسكو على المسرح الدولي، بالنظر الى اهمية تطوير وتوثيق العلاقة بين الدول ذات مراكز القوى العالمية والسيادة في القارة الاوراسية. منذ

عقود وخلال الازمة الاوكرانية القائمة، حافظت كل من بكين ونيودلهي على تواصل عسكري وسياسي واقتصادي مستقل ومميز مع روسيا الاتحادية، بعيداً عن الضغوطات الامريكية والغربية. بحسب الوثيقة، فإن "روسيا تهتم على نحو خاص بتعزيز العلاقات والتنسيق بشكل شامل مع مراكز القوة العالمية الصديقة: الصين والهند". من ناحية، يبدو ان تأصيل هذا المفهوم في السياسة الخارجية الروسية جاء رداً على قرار مجلس الامن القومي الامريكي الاخير، الذي صنف نيودلهي بأنها "لا تعتبر حليفا للولايات المتحدة، ولن تكون كذلك أبداً". وتقديراً للموقف الهندي الذي اجهض اجتماع وزراء المالية والخارجية لمجموعة العشرين في وقت سابق من هذا الشهر، وانتهى دون إصدار بيان مشترك في غياب توافق في الآراء بشأن قضية أوكرانيا وإدانة موسكو. وتعليقاً على ذلك، قال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إن روسيا تقدر "الموقف المسؤول الذي تتخذه الهند بشأن جداول الأعمال العالمية الرئيسية"

وفقا للوثيقة، ستواصل روسيا "بناء شراكة استراتيجية متميزة بشكل خاص مع الهند بهدف تعزيز وتوسيع التعاون في جميع المجالات على أساس المنفعة المتبادلة والتركيز بشكل خاص على زيادة حجم التجارة الثنائية، وتعزيز العلاقات الاستثمارية والتكنولوجية، وضمان مقاومتها للأعمال المدمرة للدول غير الصديقة وتحالفاتها".

من ناحية اخرى، ينسجم هذا الاعلان، إنطلاقاً من رد الجميل الصيني، ومساندة حليفتها بكين في مواجهة السياسات الامريكية المعادية، والرامية الى فصل تايوان عن البر الصيني. ورفض "سياسة خطوط التقسيم في منطقة آسيا والمحيط الهادئ"، التي تحاول واشنطن فرضها تحت مبررات احتواء بكين. وفقاً لهذا الاعلان، فإن موسكو تسعى الى تأمين الحديقة الجنوبية والجنوبية الغربية في قارة اوراسيا كاملةً، كمنطقة مستقرة، متكاملة ومزدهرة، ومكافحة الرهاب الروسي "الروسوفوبيا" الذي تحاول دول الغرب الجماعي نشره. كمقدمة لتنسيق الجهود الجماعية لمواجهة الهيمنة الامريكية. تقول الوثيقة "المشروع الرائد بالنسبة لروسيا في القرن الحادي والعشرين هو تحويل أوراسيا إلى مساحة متكاملة يعمها السلام والاستقرار والازدهار". وتضيف الوثيقة، إن موسكو "تهدف إلى زيادة تعزيز الشراكة الشاملة والتعاون الاستراتيجي مع جمهورية الصين الشعبية، وتركز على تطوير تعاون متبادل المنفعة في جميع المجالات، وتقديم

المساعدة المتبادلة، وتعزيز التنسيق في الساحة الدولية لضمان الأمن والاستقرار والتنمية المستدامة على الصعيدين العالمي والإقليمي. سواء في أوراسيا أو في أجزاء أخرى من العالم".

تاريخياً، تُعد الهند وروسيا شريكان موثوقان، ويحتفظان بعلاقات مستقرة منذ الحرب الباردة. وتعتبر روسيا أكبر مورد للأسلحة إلى الهند، حيث تمثل وارداتها ما يقرب من 50٪ خلال الفترة من 2016-2020. الى جانب ذلك، استمرت كل من الصين والهند في استيعاب تدفقات النفط والغاز من روسيا، وحافظتا على موقف الحياد المائل لمصالحهما المشتركة مع موسكو خلال الازمة الاوكرانية، ومواجهة الضغوطات التي تمارسها واشنطن لثنيهما عن موقفهما.

شكل يوضح إمتداد المنطقة الجغرافية للحلفاء (روسيا، الصين والهند) بحسب الوثيقة

الامن متساوي لجميع الدول

على قاعدة المعاملة بالمثل، تنظر الوثيقة الى جميع دول العالم بإعتبارها دول صديقة، ما لم تُظهر سياسات معادية لموسكو. وتؤكد العقيد الروسية الجديدة، أن الامن والاستقرار والازدهار مقصد اساسي

لسياساتها الخارجية على قاعدة المنفعة المتبادلة، وهي بذلك تلتقي مع صلب الاستراتيجية الخارجية الصينية. تقول الوثيقة، "تسعى روسيا جاهدة لتحقيق الأمن المتساوي لجميع الدول على أساس مبدأ المعاملة بالمثل"

الاعلان الجديد للسياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، يعيدنا الى النهج القديم للسياسة الخارجية في عهد الاتحاد السوفييتي، القوة الموازية لحلف الناتو. ومتقارب جدا مع خطوط وزير الخارجية في حينه أندريه جروميكو 1959–1987، والذي قال ذات مرة أنه لا يمكن البت في أي مسألة دولية ذات عواقب "بدون الاتحاد السوفيتي أو معارضته". خلال هذه السنوات كان جروميكو واضحًا في نهجه: معارضة شديدة لسياسات الغرب. وعلى الرغم من تصريحه القوي لكنه لم يكن مخطئاً: ربما لم يكن لموسكو سلطة الفيتو على جميع القضايا العالمية، لكن صراعها مع الغرب كان محسوسًا بالتأكيد في كل ركن من أركان العالم.

القضاء على اساسات الهيمنة الامريكية

تظهر الوثيقة الجديدة والمتوافقة تماماً مع عقيدة الامن القومي الروسي، إصراراً كبيراً من جانب القيادة الروسية، محوره أن إسقاط الهيمنة الامريكية اصبح هدفاً استراتيجياً لموسكو، وتُسخر من اجل ذلك كل الامكانيات السياسية والعسكرية والاقتصادية. الى جانب استقطاب مزيد من الدول ذات الثقل السياسي والاقتصادي والعسكري على الساحة الدولية. وفي ظاهرة غابت منذ انهيار الاتحاد السوفييتي تحدثت الوثيقة عن توفير الحماية لحلفاء موسكو. بعبارة اخرى، ان المواجهة العسكرية بين روسيا والولايات المتحدة، لن تقتصر فقط داخل الملعب الاوكراني، بل باتت مرشحة نحو مزيد من جبهات القتال، حيث يعاني حلفاء موسكو من الاعتداءات الامريكية المباشرة أو بالوكالة من قبل حلفائها بمن فيهم اسرائيل. وهذا ينطبق على ايران وسوريا بغعتبارهما حلفاء لموسكو. تقول الوثيقة، "سيكون القضاء على "أساسيات الهيمنة" من جانب الولايات المتحدة والدول الأخرى غير الصديقة في الشؤون الدولية

إحدى أولويات روسيا." وأن موسكو "تسعى جاهدة إلى تشكيل نظام عالمي يوفّر أمنا موثوقا به ويضمن تكافؤ الفرص بالنسبة للجميع".

يبدو ان ما حرص عليه وحذر منه السياسيون الامريكيون والقادة الاوائل (التقارب الروسي الصيني)، دفعت إدارة بايدن بقوة الى تحقيقه: ستساعد علاقات الطاقة الوثيقة وتلاقي الاهداف على الساحة الدولية، بين الصين وروسيا والان الهند، على تقريبهما كحلفاء استراتيجيين «بلا حدود» في القارة الأوروبية الآسيوية والدولية. من خلال وجود مورد طاقة روسي ملتزم في فناء منزلهما الخلفي. والان اصبح بمقدور بوتين الاعتماد على ركيزتين رئيسيتين (الصين والهند) اللذان يحملان قبعة الاقتصاد العالمي. بالاضافة الى حلفائه عبر العالم. وفقاً للوثيقة من أجل المساعدة في تكييف النظام العالمي مع حقائق عالم متعدد الأقطاب، تعتزم روسيا أن تجعل من أولوياتها "تعزيز القدرة والدور الدولي للرابطة المشتركة بين دول البريكس BRICS، ومنظمة شنغهاي للتعاون(SCO)، ورابطة الدول المستقلة(CIS)، والاتحاد الاقتصادي الأوراسي(EAEU) ، ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي (CSTO)، تحالف روسيا والهند والصين (RIC) وغيرها من الجمعيات المشتركة بين الدول والمنظمات الدولية، فضلا عن الآليات ذات المشاركة الروسية".

وتعليقاً على اصدار هذه الوثيقة، أكد زعيم الدبلوماسية الروسيه لافروف أن "منطق الوثيقة يعكس الحقائق الجيوسياسية المتغيرة، في الواقع، التقدم الثوري على المحيط الخارجي، والذي تلقى تسارعا واضحا مع بدء العملية العسكرية الخاصة".